أعياد بلا آباء يرزقون

بقلم: فاطمة الشيخ
رسوم: صلواتيان

لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ بِالاخْتِلافِ عَنْ رَفيقاتي في المَدْرَسَة، إِلّا حينَما تَمَّ تَوْزيعُ وَرَقَةِ العَلاماتِ، وَطُلِبَ مِنّاً تَوْقيعُها، مِنْ قِبَلِ الوالِد.

نَعَمْ، أنا ابْنَةُ شَهيدٍ... لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ النّاظِرُ أَنَّ هَذا الأَمْرَ قَدْ كَسَرَ خاطِري، وَجَعَلَني أَشْعُرُ أَنَّني أَقَلُّ مِنَ الأُخْرَياتِ... مَشاعِرُ الحُزْنِ والغَضَبِ لَفَّتْني مِنْ كُلِّ جانِبٍ... لَوْ كانَ أَبي مَوْجوداً لَرَكَضْتُ نَحْوَهُ حامِلَةً شَهادَتي، وَلَكُنْتُ رَمَيْتُ نَفْسي بَيْنَ أَحْضانِه، وَشاهَدْتُ بَريقَ الفَرَحِ يَلْمَعُ في عَيْنَيْهِ الجَميلَتَيْن، وَلَكِنْ... أَيْنَ هُوَ؟!

بَكَيْتُ كَثيراً، وَرَفَضْتُ أَنْ تُوَقِّعَها أُمّي؛ فَالمَطْلوبُ تَوْقيعُ الأَبِ لا الأُم، بَكَيْتُ وَبَكَيْتُ، حَتّى أَبْكَيْتُ أُمّي مَعي، قُلْتُ لَها: «أَرَأَيْتِ؟ دائماً تَقولينَ لي إِنَّهُ مَعَنا، أَيْنَ أَبي؟ هُوَ لَيْسَ مَعَنا، لَقَدْ نَسِيَنا».

حَضَنَتْني أُمّي قائِلَةً، وَدُموعُها تَتَلَأْلَأُ عَلى خَدَّيْها: «لا يا بُنَيَّتي، إِنَّ أَباكِ شَهيدٌ، وَاللهِ أَرادَ الحَياةَ لِلشُّهَداءِ، وَلَكِنَّنا لا نَشْعُرُ بِهِم، وَنَحْنُ مُسْتَيْقِظونَ؛ فَهُمْ كَالنُّورِ يَمُرُّونَ بِنا خِفافاً، هَيّا حَبيبَتي لِنَنامَ، حَتْماً سَيَأْتي إِلَيْنا».

غَلَبَني النُّعاسُ، وأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ... النُّورُ أَتى...

ها هُوَ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ مِنْ بابِ الغُرْفَة... لا حَرَمَني اللهُ هَذا اللِّقاءَ... ما أَجْمَلَكَ يا أَبي! أُحْضُنّي أَكْثَر... أُريدُ أَنْ أُهْديكَ قُبْلَةً... أَبي لَقَدْ نَجَحْتُ في الإِمْتِحانات... أَبي أَنْتَظِرُكَ كُلَّ يَوْمٍ...

انْتَبَهْتُ لِنَفْسي، وَأَيْقَظْتُ أُمّي:

أُمّي لَقَدْ أَتى أَبي، وَبارَكَ لي نَجاحي، أَلا تُريدينَ تَوْقيعَ شَهادَتي؟...